عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾:

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا حامل الرسالة القرآنية ﴿فِي شَأْنٍ﴾ من شؤونك الرسولية والرسالية، وهكذا كافة المكلفين بشؤونهم الصالحة والطالحة «وما تتلوا منه - من شأنك - من قرآن» تلاوة المتابعة رسولياً ورسالياً، دعائياً وتطبيقياً، أنت يا حامل الرسالة، وهكذا كافة المكلفين به في شأنهم الرسالي وأصله القرآن، ثم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم كلكم رسولاً ومرسلاً إليهم ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ قلبي أو قالبي ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ شهادة الحق الذي لا ريب فيه ولا خفية تعتريه ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من عمل، والإفاضة هي الإسالة في خير، أو الخوض في شر، حين تستفرغون لعمل مما تعملون.

وهنا ﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ تعني جمعية الصفات، وليست جمعية الذات، أم الذات مع غيرها من الذوات التي هي شهود فرعية بإذنه تعالى كالملائكة والنبيين والأعضاء العاملة والأرض، فإن الله لا يردف نفسه بخلقه فضلاً عن أن يأتي بصيغة تجمعه إلى خلقه.

إذاً فـ ﴿كُنَّا﴾ هنا كـ ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[2] وما أشبه، أترى بعد أن مع الله معطين آخرين للكوثر، ومنزلين سواه للذكر؟ حتى يجمعهم إلى نفسه في هذه الجموع؟!.

فقد يعني الجمع فيها وفي أضرابها عناية جمعية الصفات الربانية في تلك الشهادة على الأعمال كلها، شهادة قيومية وعلمية واستنساخية: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] وإيحاء للأرض تسجيلاً لما يحدث عليها

(١) سورة الكوثر، الآية: ١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۝٥﴾[١] وإعلاماً لسائر الشهود أن يشهدوا ما يعملون.

ذلك «وما يعزب - ويبعد - عن ربك» الذي رباك بهذه التربية القمة غير العازبة عنه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أرضاً وسماءً وما بينهما وما فيهما من أحياء وأموات، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ في علم الله قبل الخلق وبعده.

وهنا أصغر من مثقال ذرة، هو الذي لا يرى ببصر أو بصيرة، فهو في الماديات هي المادة الفردة ذات بعدين، التي لا تنقسم إلّا إلى الفناء انقساماً هو انفصام عن كونها، فهي المادة الأولية، وهو في الطاقات هي الطامّة الفردة، فهي الطاقة الأولية في حقل الخلق.

«كذلك ربنا لا يعزب عنه شيء وكيف يكون من خلق الأشياء لا يعلم ما خلق وهو الخلاق العليم»[٢].

ذلك، وفي نظرة إلى الآية بشأنها أدبياً ترى ما هو المرجع لضمير «منه»؟ إنه الشأن حيث يعني الشأن الرسالي، وهو القرآن لأنه أصل شأنه الرسالي وعلى هامشه السنة، وقد أفرد القرآن بالذكر بعد تعميم ﴿شَأْنٍ﴾ ليدل على أنه هو معظم الشأن رسولياً ورسالياً، ثم سائره ليس إلّا على هامشه، فقد ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ...﴾[٣] تقديماً للكتاب الذي هو المحور الأصيل بتنزيله وتأويله ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ثم ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ تعميماً بعد تخصيص ليدل على أن له إراءة إلهية على هامش القرآن ليست هي في القرآن نصاً أو ظاهراً.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥.

(٢) نور الثقلين ٢: ٣٠٨ في كتاب التوحيد حديث طويل عن علي عليه السلام يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات وأما قوله: وما يغرب عن ربك... كذلك...

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

وهنا يتقدم الأرض على السماء حيث الأرض أقرب إلى حاضر مخاطبيها من السماء، وأن المقام هو الشهادة على أعمال المكلفين والأصل منهم هنا ساكنوا الأرض.

ويعكس الأمر في سباء: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1] لأن غيب السماء أغيب في حسابنا من غيب الأرض.

وترى ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ أي يبعد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هلّا تبعد كل علم هنا عن ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؟ كلّا حيث الاستثناء استغراق لعلم كل شيء في كتاب مبين، أي ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ في سلبية العزب، فكل شيء من الكائنات هو مسلوب العزب عن ربك عنده.

وقد يكون هذا الاستثناء منقطعاً يقطع كل عزب عن ساحة علمه تعالى، فيعني أن كل المذكورات هي في كتاب مبين.

ذلك ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ لا تنفي فقط العزب البعد علمياً لمكان ﴿عَن رَّبِّكَ﴾ فهو عزب عن ربوبيته، عزب القدرة القيومة والرحمة والرقابة الشاملة وأي شأن من شؤون الخليقة فإن ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2].

وهنا يسبح الخيال مع الذرات وأصغر منها، والمجرات وأكبر منها، السابحة في الأرض والسماء، ومعها علم الله ورقابته وهدايته، فيرتعش الوجدان إشفاقاً ورهبة، ويخشع القلب إجلالاً وهيبة، ويهدهد القلب الواجف الراجف بأنس القرب من الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

وهنا يأتي دور الإعلان الجاهر الباهر بحق أولياء الله العارفين الله:

(١) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾:

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الذين يلون الله حباً وطاعة واتباعاً، فيليهم الله توفيقاً وهدى، هؤلاء الأكارم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يخاف منه حاضراً ومستقبلاً ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى أو يأتي، فإنهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الله على محور الإيمان: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] و﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وترى أن ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الدارين، هي بشارة لكافة المؤمنين المتقين؟ إنها - فقط - للمستقيمين من المؤمنين، فـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[3].

ذلك وكما هنا ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ حيث تعني كينونة التقوى قبل إيمانهم الحاضر، فحملتهم تقواهم على إيمانهم إذ كانوا يتحرون عنه، ثم عاشوا تقواهم - وما جرى - بعد إيمانهم، فهو إيمان في القمة العالية باستقامة التقوى من قبل ومن بعد، وليس إيماناً سطحياً بدائياً دونما سابقة التقوى ولا حقة بالاستقامة، فهؤلاء الأكثرية من المؤمنين الخائفين هنا الحزينون ليسوا هم من هؤلاء المبشّرين.

فـ ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ و﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[4] هي مواصفات ثلاث للذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.
(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٣٠، ٣١.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

لا في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]. وهؤلاء هم المعنيون بـ «عباد» في ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٢].

ثم المرتبة النازلة لنازلي المؤمنين هي هذه البشرى يوم القيامة دون ما هنا هي المعنية بـ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

أجل وهؤلاء المستقيمون في الإيمان هم لا يخافون هنا إلّا الله، ولا يحزنون على ما فاتهم في سبيل الله، وهي درجة عالية غالية ليست لتعم كافة أهل الإيمان بالله، كيف ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٤] بالله، وإن في مراحله الخفية الخفيفة، فإن قضيته الخوف ممن سوى الله قدر ما يشركون بالله، رئاء وسمعة أم وسائر التأثير المزعوم ممن سوى الله.

ذلك «لأنهم حمّلوا ما لم تحمّلوا عليه وأطاقوا ما لم تطيقوا»[٥] حيث «أدوا فرائض الله وأخذوا بسنن رسول الله، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله، لا يريدون التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٩.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.
(٥) نور الثقلين ٢: ٣٠٩ في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن سالم الأشل عن بعض الفقهاء قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يُونس: ٦٢] ثم قال: «تدرون من أولياء الله؟ قالوا: من هم يا أمير المؤمنين؟ فقال: هم نحن وأتباعنا ممن تبعنا من بعدنا طوبى لنا وطوبى لهم أفضل من طوبى لنا، قالوا: يا أمير المؤمنين: ما شأن طوبى لهم أفضل من طوبى لنا؟ ألسنا نحن وهم على أمر؟ قال لا، إنهم.. وفي الدر المنثور ونور الثقلين روايات متظافرة ان من بشراهم الرؤيا الصالحة.

الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا لآخرتهم»[١].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾:

بشراهم تعم الدنيا إلى الآخرة و﴿تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بشراها وسواها و﴿ذَٰلِكَ﴾ العظيم العظيم من بشراهم ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وذلك هو من ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٢] و﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٣] ومن بشراهم ما ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾[٤].

ذلك ومن بشراهم هنا بشرى ظهور القائم المنتظر وأنهم من أعوانه وأنصاره في الرجعة، وحضور الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام عند موتهم، والرؤية الصالحة المبشرة كما في روايات عدة[٥].

---

(١) المصدر عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] إذا أدوا...
وفيه عن الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون واليه وأنت لا تعلم...
وفيه عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى أبي بصير قال قال الصادق عليه السلام: يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٧.

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٥) نور الثقلين ٢: ٣١٠ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية الإمام يبشرهم بقيام القائم وبظهوره وبقتل أعدائهم وبالنجاة في الآخرة والورود على محمد ﷺ الصادقين على الحوض..» وفيه عن الكافي عن عقبة انه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى، قلت جعلت فداك وما يرى؟ قال: يرى رسول الله ﷺ فيقول له =

فلأولياء الله منزلة مرقومة مرموقة مغبوطة، وهم الذين «يذكر الله لرؤيتهم»[١] و«لا يحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله تعالى، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاء من الله، وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم»[٢].

ذلك، وقد فصل قول رسول الله ﷺ هذا المروي عن أخيه علي عليه السلام أنهم «قوم أخلصوا لله في عبادته ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها فعرفوا آجلها حين عزت الخلق سواهم بعاجلها فتركوا ما علموا أنه سيتركهم وأماتوا ما علموا أنه سيميتهم، أيها المطل نفسه بالدنيا، الراكض على حبائلها، المجتهد في عمارة ما سيخرب منها ألم تر إلى مصارع أبناءك تحت الجنادل والثرى؟ كم مرضت ببدنك وعللت بكفنك تستوصف لهم الأطباء وتستغيث لهم الأحباء فلم تغن عنهم غناءك، ولا ينجح عنهم دواءك»[٣]، وأخر له آخر، المسيح عليه السلام في جواب الحواريين السائلين:

= رسول الله ﷺ: أنا رسول الله أبشر ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول له: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه تحب أن أنفعك اليوم؟
قال قلت له: أيكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع إلى الدنيا؟ قال: إذا رأى هذا أبداً مات وأعظم من ذلك، قال: وذلك في القرآن قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ...﴾ [يونس: ٦٣].

(١) الدر المنثور ٣: ٣٠٩ عن سعيد بن جبير عن النبي ﷺ في الآية قال: يذكر الله لرؤيتهم.

(٢) المصدر ٣١٠ - أخرج أحمد والحكيم الترمذي عن عمرو بن الجموح انه سمع النبي ﷺ يقول:.. وفيه عنه ﷺ قال: خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الآخرة عمله، وفيه عن أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ وحقت محبتي للمتجالسين فيّ الذين يعمرون مساجدي بذكرى ويعلمون الناس الخير ويدعونهم إلى طاعتي أولئك أوليائي الذين أظلهم في ظل عرشي وأسكنهم في جواري وآمنهم من عذابي وأدخلهم الجنة قبل الناس بخمسمائة عام يتنعمون فيها وهم فيها خالدون ثم قرأ النبي ﷺ: ألا إن أولياء الله..

(٣) في آمالي المفيد بإسناده عن عباية الأسدي عن ابن عباس قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية فقيل له: من هؤلاء الأولياء؟ فقال عليه السلام:..

من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟: قال عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا حزناً، وما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفقها بغير الحق وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فليس يجددونها، وخربت بينهم فليس يعمرونها، وماتت في صدورهم فليس يحبونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ويرفضونها فكانوا برفضها هم الفرحين، وباعوها فكانوا ببيعها هم المربحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت فيهم المثلاث فأحبوا ذكر الموت وتركوا ذكر الحياة، يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماني دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون»[1].

أجل فأولياء الله هم المستغرقون في نور معرفة الله وحبه، فإن رأوا رأوا دلائل قدرة الله، وإن سمعوا سمعوا آيات الله، وإن نطقوا نطقوا بالثناء على الله، وإن تحركوا تحركوا في خدمة الله، وإن اجتهدوا اجتهدوا في طاعة الله، فهم العائشون الله دونما حجاب بينهم وبين الله إلّا حجاب ذاته تعالى حيث ذابت إنياتهم أمام الله، وتخرقت سائر الحجب بينهم وبين الله، فـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من غير الله.

وصحيح أنهم لا يخافون سوء الحساب لأنهم يخافون موقفهم من الله:

(١) المصدر ٣٠٩ - أخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن وهب قال قال الحواريون يا عيسى من أولياء الله...

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] وما أشبه من سائر الخوف من الله وفي الله، ولكن النص لا ينفي خوفهم، إنما ينبغي الخوف عليهم أن ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ لا منهم بالنسبة لمسيرهم ومصيرهم فإن الله ضمن لهم الأمن، ولا ممن سواهم إذا عرفوا موقفهم من الله.

فهم يخافون الله ويخافون في الله ثم لا خوف منهم عمن سواه فـ «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

أجل وكيف يخاف أولياء الله غير الله ويحزنون على ما فاتهم في جنب الله وهم الواجدون الله، فما الذي فقد من وجدك يا الله، وما الذي وجد من فقدك يا الله، وكيف يخافون أو يحزنون ومعهم الله، موصولين بالله وهم تحت رعاية الله ورقابته، وعلى عينه وعنايته.

هؤلاء الأكارم هم أولياء الله دون المهبولين المخبولين الذين يعيشون اللامبالاة ويدعون أنهم أولياء الله!. فـ:

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾:

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ يا رسول الهدى ﷺ ويأكل من اهتدى ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾ أولاء الأنكاد، الماقت الساقط، عرقلة ضد رسالتك ودعوتك، إذ لا عزة لهم في قالهم وحالهم وفعالهم حتى يخشوا على كيان الرسالة فـ ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ لا سواه، وإن بعضاً إلا من أعزه الله و﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢] و﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ مقالكم ومقالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ أحوالهم وأحوالكم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

أجل ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ كأصل ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[١] ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[٢].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾:

فحين يكون ﴿لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أفلا تكون عزة الأعزة منهم له «وما يتبع الذين من دونه شركاء» و«ما» هنا في وجه نافية تنفي إتباعهم شركاء لله إذ لا شريك له فضلاً عن شركاء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والزعم الفاسد الكاسد الذي لا يرتكن إلى أي ركن ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ويكذبون في إتباعهم شركاء، فهم إنما يتبعون أهواءهم ولا واقع لما يتبعونه من شركاء إذ ليس له في الحق شركاء.

وقد تعني «ما» الاستفهام إلى ما عنته، فالمعنى: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دونه شركاء، هل يتبعون في الحق شركاء؟ كلّا! ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.

أم وموصولة عطفاً على ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ. . .﴾ تعني: والذي يتبعه الذين من دونه شركاء هم كسائر الكون لله فكيف هم شركاء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في الحق ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ دون ﴿شُرَكَآءَ ۚ﴾ إذ ليس له شركاء، فلا واقع لما يتبعونه إلّا الظن الخاوي عن واقع لمظنونهم، هنا المحظور إتباع الظن، لا أصله الحاصل لطوارئ، غير المتّبع، فإنه دونه حظراً فـ: «إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر»[٣].

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٣) (الحكمة ١١١).